من طهره وخسارة من خذله حتى لا يظن احد انه هو الذي يتولى تطهير
نفسه واهلاكها بالمعصية من غير قدر سابق وقضاء متقدم قالوا
وهذا ابلغ في التوحيد الذي سيقت له هذه السورة قالوا ويدل
عليه قوله فالهمها فجورها وتقواها قالوا ويشهد له حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن نافع بن عمر عن ابن ابي مليكة عن عائشة انها قالت
انتبهت ليلة فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول رب اعط نفسي
تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها قالوا فهذا الدعا
هو تاويل الاية بدليل الحديث الاخر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرا
قد افلح من زكاها وقف ثم قال اللهم ات نفسي تقواها انت وليها
ومولاها وزكها انت خير من زكاها قالوا وفي هذا ما يبين ان الامر
كله له سبحانه فانه هو خالق النفس وملهمها الفجور والتقوى وهو
مزكيها ومدسيها فليس للعبد في الامر شي ولا هو مالك من امر
نفسه شيا قال ارباب القول الاول وهذا القول وان كان جائزا في
العربية حاملا للضمير المنصوب على معنى من وان كان لفظها مذكرا
كما في قوله ومنهم من يستمعون اليك جمع الضمير وان كان لفظ من
مفردا حملا على معناها فهذا انما يحسن حيث لا يقع لبس في مفسر الظاهر
وهاهنا قد تقدم لفظ من والضمير المرفوع في زكاها يستحق لفظا
ومعنى فهو اولى به ثم يعود الضمير المنصوب على النفس التي هي اولى
به لفظا ومعنى فهذا هو النظم الطبيعي الذي يقتضيه سياق
الكلام ووضعه واما عود الضمير الذي يلي من على الموصول السابق
وهو غير ما يليه سواها واخلاء الملاصق له وهو عين ما يليه
ثم عود الضمير المنصوب وهو مؤنث على من ولفظه مذكر دون

النفس

(هامش: نفسي — لفظها)

النفس المؤنثة فهذا يجوز لو لم يكن للكلام محمل غيره احسن منه
فاما اذا كان سياق الكلام ونظمه يقتضي خلافه ولم تدع الضرورة اليه
فالحمل عليه ممتنع قالوا والقول الذي ذكرناه ارجح من جهة المعنى لوجوه
احدها ان فيه اشارة الى ما تقدم من تعليق الفلاح على فعل العبد واختياره
كما هي طريقة القران الثاني ان فيه زيادة فائدة وهي اثبات فعل
العبد وكسبه وما يثاب وما يعاقب عليه وفي قوله فالهمها فجورها و
تقواها اثبات القضا والقدر السابق فتضمنت الايتان هذين
الاصلين العظيمين وهما كثيرا ما يقترنان في القران كقوله ان هذه
تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله وقوله لمن شاء منكم
ان يستقيم وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين فتضمنت الايتا
ن الرد على القدرية والجبرية الثالث ان قولنا يستلزم قولكم دون
العكس فان العبد اذا زكى نفسه ودساها فانما يزكيها بعد تزكية الله
لها بتوفيقه واعانته وانما يدسيها بعد تدسية الله لها بخذلانه و
التخلية بينه وبين نفسه بخلاف ما اذا كان المعنى على القدر السابق
المحض لم يبق للكسب وفعل العبد هاهنا ذكر البتة

فصل

وذكر في هذه السورة ثمود دون غيرهم من الامم المكذبة فقال شيخنا
هذا والله اعلم من باب التنبيه بالادنى على الاعلى فانه لم يكن في الامم
المكذبة اخف ذنبا وعذابا منهم اذ لم يذكر عنهم من الذنوب ما ذكر عن عاد ومد
ين وقوم لوط وغيرهم ولهذا لما ذكرهم وعادا قال فاما عاد فاستكبروا في
الارض بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذي خلقهم
هو اشد منهم قوة وكانوا باياتنا يجحدون واما ثمود فهديناهم فاستحبوا
العمى على الهدى وكذلك اذا ذكرهم مع الامم المكذبة لم يذكر عنهم ما ذكر عن

(هامش: بعد ما ذكر)

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)